ام شي سمعته من رسول الله عليه السلام قال بل سمعته عن رسول الله
عدة مرة قال كما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل
الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك
منهم كثيرا اعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه
الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله
ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون
بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك ايات الله
نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور تلك ايات الله الواردة في الوعد
والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن
والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او
يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين
على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن
يصفه بارادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان
ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا انقطاع
طار ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم
الفاسقون كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله
خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به
اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة
كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون
بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من امن ببعض
ما يجب الايمان به من رسول الله عليه السلام او كتاب او بعث او حساب
او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو امن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله
لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على
دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان لهم
من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما اثروا دين الباطل لاجله
مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون لن
يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين

او

او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل
او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع انه وعدهم
الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين
رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم
كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم
وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم
النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر
من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت
فالذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم
ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي
في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم
من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت فما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون
ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء
ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت
ولذلك جاء من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير
الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم
عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المؤمنين اي لا عز لهم قط الا هذه
الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله
استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون
في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب
كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب
عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق
سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما
خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل
ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم
يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن